الكتاب الخامس عشر

تجديد الفكر الإسلامي

أ.د. محسن عبد الحميد

تحليل وعرض أ.د. مصطفى رجب

ولد الدكتور محسن عبد الحميد – كما تقول موسوعة ويكيبيديا – في مدينة كركوك سنة ١٩٣٧م، ودرس الابتدائية والمتوسطة في مدينة السليمانية، والإعدادية في مدينة كركوك. وتخرج في قسم اللغة العربية من دار المعلمين العالية (كلية التربية حاليا) في بغداد عام ١٩٥٩م. وحصل على درجة الماجستير عام ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٨م، ودرجة الدكتوراه في عام ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، من كلية الآداب في جامعة القاهرة في تفسير القران الكريم على رسالته الموسومة (الآلوسي مفسرًا) عمل مدرسًا للغة العربية في ثانوية كركوك لمدة عشر سنوات. ثم عمل أستاذًا في كلية الدراسات الإسلامية التي أغلقها النظام السابق عام ١٩٧٥م. وتدرج في عدة مناصب وظيفية منها أستاذ مادة التفسير والعقيدة والفكر الإسلامي والحديث في جامعة بغداد. وأوفد إلى المغرب للتدريس في جامعاتها بين عامي ١٩٨٢ و١٩٨٥م. كما عمل أستاذًا زائرًا في جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية لأربع سنوات ١٩٨١ و١٩٨٥م. وقد شارك في تطوير مناهج التربية الدينية في وزارة التعليم العالي ووزارة الأوقاف والشؤون الدينية.العراقية، وقد حضر عدة مؤتمرات فكرية وعلمية عالمية في العراق والبلاد العربية والإسلامية وفي أوروبا. كما ناقش أكثر من مائة وخمسين رسالة ماجستير ودكتوراه في جامعات العراق وخارجه. وأشرف على أكثر من أربعين رسالة ماجستير ودكتوراه. وقد كان عضوًا في مجلس الحكم الانتقالي الذي شكل عام ٢٠٠٣ بعد سقوط نظام صدام حسين حيث كان ممثلًا فيه عن الحزب الإسلامي العراقي

وأهل السنة. وقد ساهم محسن عبد الحميد مع جمع من علماء العراق في التوقيع على وثيقة مكة عام ٢٠٠٦م، وهي وثيقة أتفق فيها على وقف الأعمال الطائفية في العراق ونالت تأييد ورضا معظم علماء المسلمين. ونشر مئات المقالات في الثقافة الإسلامية في عدد من الجرائد والمجلات العراقية والعربية والعالمية.

ومن مؤلفاته:

١- العلم ليس كافرًا.

٢- حركة الإسلام ومفكرو الغرب.

٣- الوجودية وواجهات الصهيونية.

٤- مع رسول الله.

٥- زي المرأة وأثره في المجتمع.

٦- حول قضية التراث.

٧- النظام الروحي في الإسلام ومقومات شريعته.

٨- اللغة العربية بين شعوبنا.

٩- المنهج الشمولي في فهم الإسلام.

١٠- من المنظومة الغربية إلى المنظومة الإسلامية.

١١- منهاج الشاب المسلم في أسرته.

١٢- أسرتك أيها المسلم.

١٣- موقف اليهود من الإسلام والمسلمين.

١٤- المرأة في ظل الحضارة الغربية.

١٥- منهج التغيير الاجتماعي في الإسلام.

obeikan.com

١٦- الإسلام والتنمية الاجتماعية.

ولكن كتابه (تجديد الفكر الإسلامي) يعد من أهم كتبه لأنه يمثل اجتهادًا علميًا مدققًا، وجهدًا صادقًا حقيقيًا في محاولة تشخيص واقع ومشكلات الفكر الإسلامي المعاصر.

ويتكون هذا الكتاب من بابين يضمان ثمانية فصول تعطي كل جوانب موضوع الفكر الإسلامي والقضايا المتصلة بتجديده.

ففي الفصل الأول من الباب الأول وعنوانه «تمهيد في مناهج دراسة الفكر الإسلامي» أوضح د. محسن عبد الحميد كيف واجهت التيارات الفكرية المعاصرة من منطلقاتها الفكرية «الأيديولوجية» الفكر الإسلامي رافضة أن تضع التاريخ في مداه الزماني والمكاني. ومن هنا فهو يرى أن دراسة تلك المناهج تدفعنا إلى دراسة الإسلام وتاريخه وتراثه، من حيث الحقائق المجردة، ومن خلال أوضاعنا المعاصرة كي ندخل في حوار علمي بناء على معارضي الإسلام.

ونقطة البداية الصحيحة في نظر المؤلف هي أن نحدد في البداية معنى المصطلح الملتبس «التراث» الذي تشير دلالاته اللغوية تلك التركة من الممتلكات التي يخلفها السابقون لمن بعدهم. ويشير معناه الاصطلاحي إلى ما خلفته الأمة أي أنه الإنتاج الحضاري الذي ينحدر من خصائص أمة من الأمم المتفاعلة مع البيئة التي نشأت فيها بكل ما تحتوي عليه من تجارب وأحداث.

من هذا المفهوم فإن المذاهب الفكرية المعاصرة قد عدت الإسلام عقيدة وشريعة جزءًا من التراث العربي، ولنأخذ على سبيل المثال المنهج الماركسي الذي كثرت كتاباته في هذا المجال، وهي في مجملها تعد الإسلام تراثا بهذا المعني الاصطلاحي وقد طغت هذه النظرة على بعض الكتاب المسلمين الذين وضح من كتاباتهم أنهم لا يفرقون بين ما هو إسلام خالص وبين ما هو تراث، إن أصحاب المنهج الماركسي- وتابعيهم -

ينظرون إلى الإسلام كما ينظرون إلى أية ثقافة بشرية تعبر عن مرحلتها. إن التحليل الماركسي يهدف إلى المعنى الثوري في كل تراث روحي قومي، وهم يحللون التراث بالمعني الذي يفهمون، ونحن لا يمكن أن نتوقع في كتابات الماركسيين غير هذا. لأنهم حتمًا سوف يخرجون الوحي الإلهي من حساباتهم.

أما أصحاب المنهج القومي الماركسي العلماني فإنهم ينظرون إلى الإسلام على أنه مرحلة حاسمة في حياة العرب، لأنهم كانوا متحفزين إلى التجرد والوحدة وبما أن «محمدًا» كان يحمل في زعمهم آلام قومه فقد عبر عن هذا النزوع بالثورة الإسلامية التي وجدت العرب في أمة واحدة، أما المنهج «الليبرالي» العلماني فهو لا يرسم خطًا واضحًا بين ما هو إسلام وما هو فكر وتراث، وهؤلاء لا ينكرون الوحي الإلهي غير أنهم لا يأخذون منه إلا الإيمان وبعض السلوكيات.

إذن فلابد أمام خطورة التيارات المادية أو العلمانية وعلى الإسلام ومستقبله أن يدرس الإسلاميون سواء كانوا مؤرخين أم مفكرين قضية الإسلام والتراث بوضوح وموضوعية.

وفي الفصل الثاني (مصطلحات إسلامية معاصرة) درس الأستاذ محسن عبد الحميد قضية المصطلحات في إطار منظومة حضارتنا الإسلامية، وضعًا وتعريفًا وتنوعًا فمثلًا مصطلح «العقيدة الإسلامية» أو «العقائد الإسلامية» لم يكن موجودًا في عهد رسول الله وأصحابه، ووجد نتيجة الصراع الفكري بين أصول الإسلام ويبين مبادئ الحضارات والأديان التي واجهته وكذلك بعض المصطلحات مثل «علم التوحيد» أو «علم الكلام» وبعد تطور الزمان وتغير الأحوال ظهرت الحاجة إلى مصطلحات أخرى تعبر عن أوضاع الصراع الحضاري المعاصر بين منظومة الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية.

وقد ناقش المؤلف عدة مصطلحات فكرية جديدة ظهرت في العصر الحديث

في الوسط الثقافي الإسلامي كالفكر الإسلامي، والنظام الإسلامي، والتصور الإسلامي، وقد قصد المفكرون الإسلاميون بتلك المصطلحات التعبير عن وجود الله والوحدانية والقدر وأفعال العباد والنبوة والروحانيات واليوم الآخر... إلخ.

غير أنه بمرور الزمن بدأ الملاحدة يلتقون على تلك المصطلحات ويستفيدون من عدم وضوحها.

ويعد الفصل الثالث (مفهوم الفكر الإسلامي وحجيته ومصادره وأصالته) من أهم فصول الكتاب، لأن المؤلف يرى ويؤكد أن الفكر الإسلامي يعني كل ما أنتج فكر المسلمين منذ مبعث النبي ﷺ إلى اليوم في المعارف الكونية والعالم والإنسان. وهذا التعريف يخرج كل فكر لا يعتمد على الكتاب السنة ومفاهيم الإسلام. وأي فكر غير إسلامي إذا اهتدى بهداية الإسلام تقل إمكانية الخطأ فيه لسببين:

الأول: أن الإسلام يضع الحقائق الإلهية الكاملة أمام الفعل في المجالات التي ليس له أن يلجها وإلا ضل وتاه.

الثاني: أن حركة الفكر الإنساني تحتاج إلى محور ثابت من حقائق الأنفس والآفاق والقيم المنبثقة منها وهذا المحور الثابت لن تجده إلا في الوحي.

حجية الفكر الإسلامي:

ليس هناك كتاب سماوي أو غير سماوي طلب من الإنسان أن يحرك طاقته الفكرية وشجعه على استعمالها كالقرآن الكريم في المئات من الآيات بصورة متنوعة، وتدفع إلى التفكير العميق في مصير الكون والحياة والإنسان:

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤] أيضًا: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ الآية [آل عمران: ١٩١] ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى

﴿ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ...﴾ [الغاشية:١٧] إلى آخر الآيات التي يحتج بها الفكر الإسلامي في وجه الفكر المغاير. أيضا السنة ومنها إقرار رسول الله ﷺ الصحابة على اجتهاداتهم. ومنها آراء صلاة العصر أو تأجيلها لحين الوصول إلى نبي قريظة أيضًا عندما سأل الرسول معاذ كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ فقال أقضي بكتاب الله قال وإذا لم تجد في كتاب الله، قال: بسنة رسول الله: قال: فإن لم تجد في سنة رسول الله قال: أجتهد ولا آلو.. فقال رسول الله في فرح الحمد الله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى الله ورسوله».

وقد ناقش الفقيه الأندلسي الكبير ابن حزم رحمه الله تعالى، حجج الذين أبطلوا العقل... فقال – على سبيل التمثيل –:

[واحتج من أبطلوا حجة العقل: بأنه قد يُرى الإنسان يعتقد بشيء ويجادل عنه، ولا يشك في أنه حق. ثم يلوح له غير ذلك، فلو كانت حجج العقول صادقة لما تغيرت أدلتها.. يقول ابن حزم: إننا لم نقل إن كل معتقد لمذهب فهو محق فيه. ولا قلنا إن كل ما استدل به مستدل على مذهبه فهو حق. ولو قلنا ذلك لفارقنا حكم العقول، ولكن قلنا إن من الاستدلال ما يؤدي إلى ما مذهب صحيح إذا كان الاستدلال مرتبًا ترتيبًا قويمًا وقد يقع الاستدلال إذا كان فاسدًا على مذهب فاسد. وذلك إذا خولف به طريق الاستدلال الصحيح.

مصادر الفكر الإسلامي كما يراها محسن عبد الحميد:

الأول: القرآن والسنة:

لو تأملنا القرآن الكريم لوجدناه يفتح المجال واسعًا أمام حركة العقل، ويتضح هذا في الذي يقدمه القرآن من بعض النصوص الغير قاطعة في مسألة ما، وهذا الأسلوب القرآني وبجانبه السنة، دفع بعض علماء الإسلام إلى إعمال فكرهم في مجالين:

١ – في مجال الاجتهاد في تفسير النصوص الغير قاطعة في بعض القضايا.

٢- في مجال القضايا والمسائل التي لم يتطرقا إليها البتة.

ففي مجال العقائد الإسلامية التي عرضها القرآن والسنة، قام الفكر الإسلامي بمحاولة فك البراهين القرآنية اليقينية، وبنائها على براهين عقلية، ولم يخف على هذه العقلية الإسلامية المحاولات المنحرفة ا التي حاولت جر الإسلام كي يوافق الفلسفات الأجنبية.

الثاني: الحضارات الأجنبية:

حث الإسلام أتباعه على استعمال العقل والبحث والنظر في المعرفة الإنسانية ومعرفة التاريخ والاعتبار بالأمم، ومن هذا المبدأ انطلق المسلمون إلى الأخذ بأسباب الحضارة الإنسانية والاستفادة منها في بناء حياتهم وتطوير مجتمعهم. والاستفادة من المعارف المفيدة التي نقلوها وطوروها. غير أن الإسلام بطبيعته يرفض الأفكار الفاسدة، ولقد كانت نتائج دخول بعض جوانب من الثقافات الأجنبية خطيرة جدًا على الإسلام ومجتمعه، ومع ذلك فلا يمكننا أن ندعي نهائيًا انتفاء أي تأثير إيجابي لتلك الثقافات أصالته: حاولت الدوائر الاستشراقية خلال أكثر من قرن أن تثبت أن الفكر الإسلامي في مظاهره المتنوعة، اقتبس من الثقافات الأجنبية.

لقد سلكت تلك الدوائر في سبيل الوصول إلى أهدافها مسلكين:

الأول: تشويه معالم الثقافة الإسلامية الثاني: محاولة توسيع دائرة الفكر الإسلامي حتى تشمل الفلسفات الغربية.

على أنه لم يمض زمن طويل حتى ظهرت الحقائق الفكرية. ومنها إثبات أن الفقه الإسلامي بني على أصول الشريعة الإسلامية وقواعدها العامة. وأن حركة التصوف الإسلامي كانت ثمرة طبيعية للمبادئ الأخلاقية. وأن الفلسفة الإسلامية مصادرها الطبيعية هي الأصول الإسلامية.

وفي الفصل الرابع وعنوانه (تطور الفكر الإسلامي) تتبع المؤلف بدء الفكر

الإسلامي حركته منذ حياة رسول الله ﷺ في الاتجاهات جميعها، التي أراد الإسلام أن يضع الناس عليها ومن هذه الاتجاهات: اتجاه العقيدة والفلسفة: لم يفكر الأوائل في الإسلام بجزئيات وماهية العقيدة بسبب الاكتفاء بصورة العقائد القرآنية ولأنه لم تكن قد ظهرت أمور تدفعهم على الخوض في تلك الجزئيات، ولكن احتكاك المجتمع الإسلامي بعد ذلك بثقافات مختلفة، قد دفع الفكر الإسلامي إلى خوض الحديث عن جزئيات العقائد الإسلامية. وقد ظهرت في داخل المجتمع المسلم عدة اتجاهات منها ظهور فرقة القدرية كنتيجة لدعوة الأمويين لنظرية الجبر. بما دعا البعض إلى النداء بحرية الإرادة الإنسانية. وعلى صعيد الثقافات الدخيلة فقد كان لها تأثير مباشر في ظهور تنزيه الله ونفي الصفات عند الجعد بن درهم ثم الجهم بن صفوان الذي نشأ بسمرقند.

أما وقفة الإمام أحمد في محنة خلق القرآن فلقد هيأت السبيل أمام بلورة الاتجاه العقلي الكلامي لدى متكلمي أهل الحديث.

لقد قام أصحاب النظر العقلي من أمثال معبد الجهني، وعمر المقصوص والجعد بن درهم وغيرهم، بدور عظيم في مواجهة خطر الثقافات الدخيلة لكن لم يمنع هذا وقوع هؤلاء أنفسهم في أخطاء منهجية وموضوعية.

منها: ١- أن جعل العقل المعتمد الأساس في المعرفة وتأويل العقائد الإسلامية في كل كلية وجزئية بموجبه لم يكن صائبا في كل حين.

٢- اعتقد هؤلاء - في ضوء منهجهم - أنهم على حق لا ريب فيه، فضلوا خصومهم الإسلاميين، ولا ننسى أن المعتزلة قد أدوا دورًا عقائديًا عظيمًا في الدفاع عن مبادئ الإسلام أمام المانوية البراهمة والفلسفات المنحرفة كالصائبة والغنوصية وغيرها وكذلك في إثبات إعجاز القرآن رغم الأخطاء التي وقعوا فيها، غير أن محاولات أبو الحسن الأشعري التصحيحية لا تخفى على أحد وكان انطلاق

الأشاعرة من مبدأ أن العقل له دور عظيم في تفسير وتحليل النصوص في إطار القواعد اللغوية الصحيحة وأن العقل لا يصطدم مع النقل.

وفي رأي محسن عبد الحميد أن مفكري المعتزلة والأشاعرة والماتريدية وأهل الحديث كان لهم أثر كبير في التخطيط العقلي للرد على التيار المشائي من خلال مناقشات وردود عقلية بلغت الغاية في الدقة والموضوعية بحيث استطاعوا دحر تلك الفلسفات الوثنية اليونانية وغيرها، ولقد كان لمفكر إسلامي بارز دور كبير في إنهاء ذلك الصراع هو حجة الإسلام الإمام الغزالي رحمة الله تعالى لقد استطاع الغزالي وغيره أن يثبتوا أن ما سميت بمقدمات منطقية، لم تكن صحيحة، بل كانت مضطربة لأنها لم تكن إلا أقوال رجال واجتهادات مرحلة فكرية معينة، كانت تتصف بالانحرافات العقدية والوثنية، ولن ننسى أيضا دور ابن تيمية: لقد كانت هذه من مراجعته لتلك الأفكار والتيارات والفلسفات الصوفية لقد كان هدفه من حركته الجهادية هذه تنقية عقائد الإسلام ومبادئه من كل دخيل فيها مهما كان جليًا ودقيقًا.

وخلاصة القول: أن الفكر الإسلامي الصحيح والسليم هو القائم على أساس أن الرسول اعتمد في حياته مبادئ نابع معظمها من الأسس التربوية السلمية، والتي بنيت على التوحيد الخالص وإتباع الشريعة في إطار الفهم اللغوي والتخلق بأخلاق الرسول في العبادة والسلوك والحركة، والابتعاد عن الرهينة والمظاهر الكاذبة.

وفي الفصل الخامس حاول المؤلف تقويم الفكر الإسلامي في ضوء عدة اعتبارات:

الأولى: أن الفكر الإسلامي هو عبارة عن محاولة فهم وهضم تلك التغيرات والصراعات في ضوء أصول الإسلام وقواعده ومقاصده، غير أن هذه المحاولات لا يمكن أن تكون صالحة لكل عصر في تفاصيلها، والصحيح أن يقوم الفكر الجديد في العصر المتأخر بعملية تواصل عميق مع الفكر الذي تقدمه ويقوم بموازنة دقيقة

تعبر عن المتغيرات الجديدة.

الثانية: لقد ظهرت قضايا جديدة وفلسفات متباينة ومناهج كثيرة تستدعي أن نعيد النظر في ميراثنا المعرفي الذي نتج عن مواقف المفكرين المسلمين في العصور الماضية، إن الفلسفة الإسلامية التي يحتاجها عصرنا هي تلك التي تلحق الهزيمة الفكرية بالفلسفات المادية الحديثة، وتنقذ الجيل المسلم من الاضطراب والقلق والحيرة وتشعره بأصالته.

الثالثة: إن المذاهب الفقهية والأصولية الكبيرة تضع أمام الفقيه اليوم عدة حلول للقضية الواحدة أحيانًا، بحيث تعطي الأرضية القوية والمادة الخصبة للفقيه الواعي المستنير لإصدار الحكم العصري المناسب للقضية المعينة. بمعنى أن أي اجتهاد فقهي اليوم لا يمكن أن يبدأ من الفراغ، بل لابد للمجتهد أن يعرف آراء ونظريات الفقه الإسلامي.

الرابعة: تحريم الرهبانية والعيش خارج حركة الزمان، لأنها كانت من أهم أسباب شلل الإنسان المسلم وسقوطه الحضاري في القرون الأخيرة

وقد جاء الباب الثاني كله – بفصوله الثلاثة – مكرسًا لدراسة واقع الفكر الإسلامي الحديث، فتم تخصيص الفصل الأول لاستعراض بواكير حركة النهضة الإسلامية المعاصرة وبداية التجديد فمثلًا:

تجديد العقيدة:

حيث رانت على جوانب من أصول العقائد الإسلامية، وفروعها، أفكار خرافية وتصورات منحرفة واتجاهات بدعية خطيرة ومظاهر متنوعة كانت تعبر عن الشرك الجلي والخفي. لقد كانت الحركة الوهابية حركة تنقية، وإنقاذ للعقائد الإسلامية من الاتجاهات الخرافية وتعقيدات علم الكلام، وقد أعادت الروح والحرارة إلى آراء ابن تيمية وابن القيم واجتهادها في العصور الحديثة التي استفادت

منها فوائد عظيمة. وتسخير علم المادة لبناء الحضارة الإسلامية الحديثة، غير أن ظروف حياة البداوة في الجزيرة العربية وعدم احتكاك الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمراكز الثقافة الإسلامية المختلفة يومئذ وانحصار ثقافته بالجانب النقلي وحده من الثقافة الإسلامية وتأخر وصول أخبار التغير الذي كان يهز الحياة في أوروبا إلى العالم الإسلامي، جعلت من حركته ذات بعد واحد هو البعد العقدي الذي هو من المؤكد من صلب الإسلام، ولا ريب أن انتقال مجتمع الجزيرة، بعد ذلك - من حياة البداوة إلى حياة الحضارة سيكتب النصر النهائي لهذا الاتجاه الإسلامي الأصولي العصري المستنير الذي يوجه فكره نحو إيجاد حلول حضارية إسلامية لمشاكل الاقتصاد والاجتماع والسياسة والتربية والتعليم.

التجديد الشامل:

أبرز من ظهر على مسرح الكفاح والنضال عن الأمة والجهاد في سبيل تجديد أمر الإسلام والمسلمين كله هو جمال الدين الأفغاني الذي فضح الاستعمار ومؤامراته واحتلاله لبلاد الإسلام، بل وقضى حياته في الدعوة إلى توحيد صفوف الأمة الإسلامية الممزقة، ودفعها إلى طريق التغيير والبناء: بمعالجة الجهل والانحراف والعودة الصادقة إلى الكتاب والسنة ومحاربة التقليد والتعصب المذهبي والاستفادة من مواطن القوة الحضارية العلمية والعمرانية ورفض الاستبداد السياسي ونادى لصد الهجوم الفكري الشامل، وقد كان تأثير الأفغاني عظيمًا في كل مكان حل فيه، ولهذا كون مدرسة فكرية ضخمة تخرج فيها المفكرون والسياسيون.

تجديد الذات:

محمد إقبال فيلسوف الإسلام وشاعره الكبير، دعا في بلاد الهند وما يجاورها إلى تجديد فهم عقيدة التوحيد، لأنها الإكسير الذي يحيل التراب ذهبًا وهو الدواء الذي يميت الخوف والشك ويحيى الأمل والعمل، ودعا إقبال المسلمين إلى فلسفة الذات وهي تعني عنده الشعور بالشخصية المستقلة، وهي قرينة الحرية المنضبطة، ومذهب

إقبال في هذا المجال مذهب إنساني، وخص الأمة الإسلامية بالحديث عن الذات لأنها هي التي يتمثل فيها الشعور بالذات في أجلى مظاهرة.

وبقدر ما يدعو إقبال إلى الأخذ بأسباب التقدم العلمي والنظام يرفض المنطلقات المادية والقيمية للحضارة الغربية. وقد أحدث إقبال تجديدًا كبيرًا في حياة المسلمين في الهند، ووضعهم على طريق الإسلام، وشرح لهم حقائقه، وملأ قلوبهم بالإيمان والحماس لقضيتهم.

تجديد شمولي حركي:

انطلق الإمام الشهيد حسن البنا (١٩٠٦ - ١٩٤٩) من الدراسة الشاملة للمنهج الأصولي الإسلامي، لاسيما في مدرسة «جمال الدين» «ومحمد عبده» «ومحمد رشيد رضا» لكي يرسم للجيل الجديد بدقة ووضوح المذهبية الإسلامية بتفاصيلها الشاملة التي تستوعب نواحي الحياة كلها. ففي مجال العقائد دعا إلى الاقتداء بصحابة رسول الله، وعد الاختلاف حولها من أسباب تمزيق الصف الإسلامي. ومعرفة الله تبارك وتعالى وتوحيده وتنزيهه أسمى عقائد الإسلام، أيضًا من المسائل المهمة التي تعرض لها الإمام أن الدعاء إذا قرن بالتوسل إلى الله بأحد من خلقه فهو فرعي في كيفية الدعاء وليس من مسائل العقيدة.

أيضا في الأصل السابع يقول: لكل مسلم لم يبلغ درجة النظر في أدلة الأحكام الفرعية أن يتبع إمامًا من أئمة الدين» أيضًا في الأصل الثامن يقول: «الخلاف الفقهي في الفروع لا يكون سببًا للتفرق في الدين... ولكل مجتهد أجره ولا مانع من التحقيق العلمي النزيه، وفي مجال الحكم والسياسة، دعا إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في نواحي الحياة كافة.

لقد امتاز الفكر الإسلامي الحديث بعدة خصائص نجملها فيما يلي:

١-اتفاق الجميع على أن الفهم الصحيح لمسائل العقيدة الإسلامية لابد أن

يستند إلى القرآن الكريم والسنة النبوية.

٢- الكل متفقون من الأفغاني ومن جاء بعده على أن تيارات الفكر الإسلامي القديم كانت اجتهادية، جابهت الصراع الفكري في زمانها.

٣- الجميع متفقون على أن الفقه الإسلامي فقه متجدد دائمًا.

٤- الكل ينطلقون في بيان مذهبية الإسلام في الكون والحياة والإنسان انطلاقًا موحدًا، قائمًا على أساس الفهم للقرآن الكريم والسنة.

٥- الاتفاق الكامل على أن المسلمين لابد لهم في هذا العصر أن يهتموا بفهم السنة الإلهية في الكون.

٦- محاربة مظاهر البدع المتنوعة والفعلية الخرافية والتواكلية.

٧- عدم الاكتفاء بدراسة الشريعة الإسلامية دراسة مجزأة، وإنما الانتقال إلى دراسة المفاهيم الكلية في النظم العامة في الشريعة الإسلامية.

٨- اتفاق الكل على أن حل المشكلات الإنسانية الاجتماعية أصبح ضرورة حضارية.

٩- جميع المجددين والمفكرين الإسلاميين حددوا موقفهم من القوى الاستعمارية.

١٠- تحويل الفكر والأماني، إلى حركة إيمانية قوية تعيد صياغة الإنسان المسلم.

مفهوم السلفية والفكر الإسلامي الحديث:

ظهر السلف بعد عصر الصحابة وكان المعنى اللغوي هو المقصود وهو الاقتداء بالسلف الصالح، لكن لفظ السلفية من حيث هو المصطلح محدود لم يظهر إلا في فترة متأخرة، وهي تدعو إلى اتباع السلف الصالح، ولكن ابن تيمية دعا إلى عدم تقليد الرجال مهما كانت مكانتهم في الإسلام ودعا إلى إتباع الدليل في ضوء

الضوابط النقلية والعقلية، وابن تيمية سلفي أصيل ومعظم المجددين والمفكرين الإسلاميين كانوا سلفيين فكيف يمكن لباحث يطلب الحق لذاته أن يصف حركة إسلامية حضارية شاملة معاصرة تخطط للحاضر والمستقبل بمصطلح السلفية» وفي رأي المؤلف أن تلك التسمية خطأ من وجهين:

١- **لغة**: لأن الفكر الإسلامي الحديث منطلق من القواعد الأصولية المعروفة عند علماء الإسلام، لا يرى نفسه ملزمًا بإتباع السلف في كل شيء.

٢- **اصطلاحا**: لأن السلفية كان اصطلاحًا محدودًا استعمل في أزمان معينة، استجابة لتحدى الانحرافات والبدع، واليوم انتفت الحاجة لاستعمال هذا المصطلح. ولأن كلام المفكرين اليوم يعتمد على البرهان القرآني وتوسيع مدلولاته بالمنطق العقلي الحديث.

إذن العلاقة بين السلف والخلف شيء من حيث هم جميعًا أمة واحدة مستمرة وأمر تصحيح مناهج المصطلحات التي كانت حصيلة الصراعات الفكرية الماضية شيء آخر.

وقد خصص المؤلف الفصل الثاني من الباب الثاني للتأصيل لمفهوم التجديد الحضاري، فهو يرى أنه لابد لأي حضارة إذا أرادت أن تحتفظ بشخصيتها وخصوصيتها، لابد لها من التجديد المستمر مثلها مثل خلايا جسد الإنسان، والمذهبية الإسلامية تشكل حجر الأساس في بناء الحضارة الإسلامية:

أ- **المذهبية الإسلامية**: أن المادة الكونية ليست شرًا في حد ذاتها، إذ هي مخلوقة لغايات حكيمة منها أداء الإنسان لدورة الحضارة فيها، ويدعو إلى استعمال العقل، وأن العقلانية ليست ثابتة بل متغيرة، وأن هذا النظام لا ينتج بالصدفة إذن لا مناص عقلًا من القول بالخلق.

ب-**الله**: خالق الكون له صفات الكمال كلها، وهو غني كامل والمخلوقات فقيرة ناقصة محتاجة إليه ومن صفاته الوحدانية التي تثبتها وحدة القانون الكوني، ويثبتها العقل وأنه لا يحتاج إلى شريك.

ج-**النبوة**: الإنسان أفضل مخلوقات الله، ومن هنا لم يشأ أن يترك أفضل مخلوقاته من دون رعاية أو لطف أو عناية، أعطاه العقل لكي يدبر أمره وأرسل إليه الرسل البشر لتنظيم حياته. وأرسل النبي الخاتم لكي يصحح المفاهيم التي قد تكون اعترتها الشبهات ويجمع الرسالات في رسالة واحدة خاتمة.

هـ-**اليوم الآخر**: أن المسؤولية الأخروية إنما تكون أمام الله وحده لأنه تعالى وحده يسأل الناس ويحاسبهم على أعمالهم، وهذا ويتميز الإنسان على الحيوان بما خلق الله فيه من الجانب الروحي والقدرة على السمو والارتقاء به، ومن أجل أن يقوم الإنسان بالأمانة الكبرى، سخر الله له الكون وقوانينه، أنه يستطيع أن يقوم بهذا العمل الحضاري على الأرض، لأنه من اختصاص عقله، ويدعو الله الإنسان إلى أن يتخذ من دلائل الأنفس، والآفاق طريقًا إلى الخالق العظيم، كي يتصل به ويعبده وفي عبادته له لا لغيره السعادة الكبرى.

ـ تقويم المذهبية الإسلامية:

ليس لنا مذهبية حضارية وصلت إلينا قديمًا أو حديثًا مبنية على عقيدة التوحيد غير مذهبية الإسلام الحضارية، ومع هذا ينبغي لنا أن تعترف بأن افتقارنا الكامل الآن إلى أية نظرية في الكون هو المصدر الأخير لكل الكوارث وألوان الشقاء التي يدج بها العصر الحاضر، إن المذهبية الإسلامية وضعت الإنسان أمام مصيره الأخروي، ونظمت له حياة يحكمها نظام أخلاقي وحياة الأنبياء وخاصة النبي الخاتم تشهد بذلك. إذن يستطيع أي منصف خالي من الهوى أن يقر بأنه لا توجد مذهبية شاملة متكاملة روحانية عقلانية واقعية إنسانية، متكاملة متوازنة كمذهبية

الإسلام في الكون والخالق والعالم والإنسان.

وفي الفصل الثالث تناول المؤلف قضايا تنتظر التجديد، إذ لابد للأمة (في رأي المؤلف) إذا سقطت حضاريًا - إذا أرادت أن تنهض من كبوتها - أن تستخرج دقائق الماضي وتقوم بعملية نقد للذات، وتشخيص الأمراض وتحديد العلاج.

لابد من شرح معالم الإسلام عقيدة وشريعة ونظامًا أخلاقيًا ساميًا، ونماذج بشرية رفيعة، من خلال دعوة الداعين ووعظ الواعظين وكتابات المفكرين وشعر الشعراء وأدب الأدباء.

أيضًا بالكتابة عن تاريخنا وحضارتنا ومنجزاتها العلمية والإنسانية لذا يجب أن نقوم بعملية فرز تاريخي دون تقديس للقديم.

نحو عقلانية إسلامية جديدة: لقد انطلق المسلمون من القرآن الكريم في تبني الموقف العقلاني الصارم وانتهوا إلى تحكيمه في فهم عقيدتهم

وقد سبق توضيح دور العقل في الفصول المختلفة السابقة وخاصة في بداية التجديد والتجديد الحضاري وقد تم إثبات أن العقل قام بالدور الرئيسي في فهم النصوص القرآنية والقضايا التي سكت عنها القرآن وكذلك السنة وقد قامت حركات التجديد من جمال الدين الأفغاني حتى الإمام حسن البنا على إعمال العقل كأساس لفهم الكتاب والسنة ووضح - في نهاية المطاف - أن المؤلف يرى أن إعمال العقل أساس لأي فكر حضاري متقدم.

*****